أمريكا هى الطاعون

العنوان مأخوذ عن شاعر المقاومة الفلسطينية الراحل محمود درويش، كان الشاعر العربى البارز يؤكد أن «أمريكا هى الطاعون والطاعون أمريكا»، ولم يكن التشديد المضاف من فراغ، فقد راح مئات الآلاف من العرب والمسلمين ضحايا للهمجية الأمريكية، وبدت السياسة الأمريكية كوباء قاتل مهلك للحرث والنسل فى أوطاننا .

وربما يكون العداء الغالب للسياسة الأمريكية من أبرز القواسم المشتركة بين شعوبنا، وهو ما يفسر تحرك الناس التلقائى لاقتحام السفارات الأمريكية فى القاهرة وبنغازى وصنعاء وتونس، ورغبتهم العارمة فى طرد الأمريكيين من سفراء الشر، وهى الرغبة التى بلغت ذراها بحرق القنصلية الأمريكية فى «بنغازى»، وأدت - ربما دون قصد - إلى موت السفير الأمريكى وعدد من أعضاء بعثته اختناقا بدخان الحرائق، وقد لايكون قتل السفراء مرغوبا، وقد يكون الأفضل هو طردهم، وطرد قوات «المارينز» التى ذهبت إلى ليبيا فى غزو عسكرى مباشر، وبدعوى اعتقال مهاجمى القنصلية الأمريكية، وهو تصرف أحمق سوف يزيد من حدة العداء للأمريكيين، ويسقط الأقنعة عن وجوه كالحة تتصدر المشهد الليبى الآن .

نعم، كان الفيلم الحقير المسيء للنبى ﷺ وأمهات المؤمنين هو السبب المباشر فى موجة الغضب الشعبى الأخيرة، وهى ليست غضبة لجماعات بعينها، بل للعرب والمسلمين جميعا، وإن كان ظهورها أكثر سطوعا فى عواصم الثورات الجديدة، فثمة حريات عامة مكتسبة تسمح بالاحتجاج الظاهر، بينما بدا الاحتجاج مكتوما فى عواصم أخرى، لا تزال فى الأسر، ولا يزال حكامها

يتعاملون مع المنشآت الأمريكية كأنها الأماكن المقدسة، لا يسمح لأحد بالاقتراب منها أو التصوير، وحتى لو كانت المناسبة تعبيرا عن غضب من إهانة لحقت بخاتم الأنبياء والمرسلين، هذه الإهانة التى تعاملت معها واشنطن كأنها من حريات التعبير، وتغاضت عن انتاج الفيلم الحقير، وعن عرضه بالتعاون بين جماعات صهيونية والقس تيرى جونز - حارق المصحف - وقلة شاردة مأفونة من أقباط المهجر، ووفرت أمريكا الحماية لكل هؤلاء، وأتاحت لهم حرية الطعن البذيء فى الإسلام وسيرة نبيه الكريم، وبدعوى أن الحكومة الأمريكية لا تتدخل فى حريات التعبير، وما دام الأمر كذلك، فمن حق الناس فى بلادنا أيضا أن يعبروا عن غضبهم بحرية، وحتى لو أخذ الغضب صورة اقتحام السفارات الأمريكية، فحرمة السفارات ليست أقدس من حرمة النبى، وإذا كان بوسع واشنطن تحريك قوات المارينز بدعوى حماية سفاراتها ورعاياها، فإن بوسع العرب والمسلمين، بل ومن واجبهم، أن يدافعوا عن ديارهم ودينهم ونبيهم بأغلى ما يملكون .

ولقد حاولت واشنطن أن تبدو فى صورة المناصر للثورات العربية المعاصرة، وجهدت فى احتوائها، وفى بناء تفاهمات علنية وسرية مع تيارات بعينها من نوع جماعات الإخوان المسلمين، وتصورت أمريكا أن هؤلاء سيحفظون لها طيب المقام، وأنها استبدلت خدمة الإخوان بخدمة تابعيها الديكتاتوريين المخلوعين، وبدا كأننا بصدد «إسلام أمريكانى» تختلط فيه الصور، ولم تدرك واشنطن، ولا أدرك التابعون الجدد، لم يدرك هؤلاء وأولئك أن القصة لم تنته بعد، وأن الثورات قامت أساسا ضد الأوثان لتحرير الأوطان والسكان، وأن جمهور الثورات الواسع معاد للسياسة الأمريكية بالجملة، وأن ريح الثورة التى اقتلعت الأوثان لن تغفل عن حرية الأوطان، وأنه لا إمكانية لتنمية حقيقية ولا لديمقراطية ناجزة مع بقاء التبعية للأمريكيين، وهذا هو الخطر المحدق بجماعات الوثنية الجديدة المتخفية وراء مسوح إسلامية، والتى بدت غيرتها على

مصالح الأمريكيين أظهر من غيرة البيت الأبيض نفسه، ورحبت - فى ليبيا - بقدوم «المارينز» الأمريكى لغزو البلاد، ولم تطلب - فى مصر - استدعاء السفيرة الأمريكية، ولا سحب السفير المصرى من واشنطن، وبدت ردود أفعالها فى تونس واليمن باهتة جدا، وراحت جميعا تنتقد سلوك المحتجين العرب، وتحملهم المسؤولية عن اضطراب الأمن وتعكير السكينة العامة، وكأن المحتجين - وليس واشنطن - هم الذين سمحوا بإنتاج وعرض الفيلم الحقير المسيء للنبى والمستهزئ بقداسة الإسلام .

وبالطبع، فإن مكانة النبى ﷺ فوق كل الافتراءات والترهات، وإنتاج مليون فيلم حقير ضد الإسلام لن يحد من قوته وانتشاره السريع فى أربع جهات الدنيا، فالإسلام هو الدين الخاتم، والنبى محمد ﷺ هو المثل الأعظم بإطلاق مراحل التاريخ الإنسانى، وعظمة الإسلام - فوق امتيازه الذاتى - أنه يدعو أتباعه للإيمان بالله وكتبه ورسالاته وأنبيائه جميعا، لا نفرق بين أحد منهم، والإساءة للسيد المسيح تغضب المسلمين كما تغضبهم الإساءة للنبى، وحين ترتبط الإساءة للنبى باسم أمريكا يتحول الشعور الغاضب إلى عبوة ناسفة، فأمريكا هى التى تدعم وتسلح وتطور كيان الاغتصاب الإسرائيلى لفلسطين، وأمريكا هى التى احتلت العراق وأفغانستان وقتلت الملايين، وأمريكا هى التى تسيطر على ثروات البترول فى الخليج، وهى التى تنشر قواعدها العسكرية بامتداد أراضينا وسواحلنا، وأمريكا هى التى تحتل قرار مصر - أكبر الدول العربية - منذ عقد ما يسمى معاهدة السلام، وهى التى تضعف الجيش المصرى، وتنشر فيروس الخراب فى كيان الدولة المصرية باسم المعونة، وجهاز المعونة تحول إلى سلطة انتداب، وهى التى دمرت - عبر وكلائها - قلاع التصنيع المدنى والإنتاج الحربى فى مصر، وقد لا يتسع المقام لشرح أو حتى مجرد ذكر عناوين الشرور الأمريكية، فالعلة ظاهرة دون احتياج لمزيد من الشروح، والغضب الحالى من الفيلم الحقير يحمل معنى الرفض للهيمنة الأمريكية على قرارنا ومقدراتنا،

لا ندعو - بالطبع - إلى قتل السفراء الأمريكيين، بل إلى طرد النفوذ الأمريكى من بلادنا، ورفض معونات الأمريكيين المسمومة، وإزالة قواعدهم العسكرية، ومقاطعة بضائعهم ومنتجاتهم، وخلع الحكومات الموالية للأمريكيين، وتحرير الديار واستعادة استقلال القرار، فلن يحسب أحد لنا حساب مادمنا على حالنا من الضعف والوهن والاستجداء، وحرية أوطاننا هى أعظم ضمان لحماية مقدساتنا، وقطع اليد التى تسيء لديننا ونبينا العربى العظيم.

"صوت الأمة " فى ١٧ من سبتمبر ٢٠١٢

obeikan.com